ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

دراسات

الإعاقة الجسدية في المغرب والأندلس
خلال العصر الوسيط



د. سعيد بنحمادة

أستاذ التعليم العالي مساعد
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
مكناس – المملكة المغربية

مُلَخَّصْ

تهدف هذه الدراسة إلى تناول الإعاقة الجسدية في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، باعتباره موضوعًا بكرًا في التاريخ الاجتماعي والذهني في المرحلة المذكورة. ساعين من خلاله كذلك إلى إثارة الانتباه إلى جدوى توسيع اهتمامات المؤرخ لتشمل قضايا ما فتئت تصنف إما ضمن "اللامفكر فيه" أو "المسكوت عنه"، بدعوى قلة المادة المصدرية، وهو الأمر الذي فنده الاعتماد على المصادر الدفينة، لكونها منحت البحثَ التاريخي في قضايا العصر الوسيط في الغرب الإسلامي نَفَسًا تجديديًا، وأعطت للوثيقة التاريخية مفهومًا مفارقًا لذلك الذي كان سائدًا حينما كان الباحثون يقتصرون في السابق على كتب التاريخ الحدثي، التي تركز على موضوع البطل، عبر زمني سياسي قصير مرتبط بقيام الدول وسقوطها. كما أن سبر غور تاريخ العامة والمهمشين، وضمنهم المعوقون، من شأنه أن يولّد رؤية ومنهجًا مخالفين لما يناسب التاريخ السياسي والعسكري، ويجعل الحدث التاريخي ينصب على البنية العميقة ذات الزمن الاجتماعي الطويل. وهو ما توخيناه من هذا البحث، الذي اعتمدنا فيه، قدر الإمكان، على مختلف المتون المصدرية، لتوضيح مفهوم الإعاقة الجسدية، وأنواعها، وأسبابها، وموقف المجتمع والدولة منها، مركزين على علاقة العاهات البدنية بالطب والتصوف، وفق رؤية مندمجة ومتكاملة تراعي تعدد العوامل الفاعلة في الحدث التاريخي.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٧ أبريل ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ١٣ يوليو ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

التاريخ المرضي، المعوقين، العاهات البدنية، التصوف، المغرب والأندلس

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

سعيد بنحمادة. "الإعاقة الجسدية في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط".- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني والثلاثون؛ يونيو ٢٠١٦. ص٣٩ – ٥١.

مُقَدِّمَة

تُعَدّ السلامة الجسدية هي الأصل في الإنسان؛ وهي المقصودة بالصحة، ونقيضها المرض؛ لذلك فإن (حد المرض مفهوم من حد الصحة، إذ كان مقابله. ولما كانت الصحة هي حال في العضو بها يفعل الفعل الذي له بالطبع، أو ينفعل الانفعال الذي له؛ لزم ضرورة أن يكون المرض حالة في العضو بها يفعل على غير المجرى الطبيعي أو ينفعل)[1]. ولذلك نصت المصادر على من توفّر على حالة بدنية سوية، تمييزًا له عمَنْ كان يعاني من إعاقة، من قبيل من (كان ممتعًا قوي الأعضاء مصححًا)[2]، أو مَنْ كان (ثابت ... البصر)[3]. إن هذه الإشارات حول الإعاقة، تدل على تنبه المصادر إلى الصحة الجسدية في العصر الوسيط، وما اعتراها من خلل نجمت عنه بعض الإعاقات، جعلت المعوقين يشكلون فئة اجتماعية في المغرب والأندلس وقتئذ.

ومما يعضد ذلك؛ أن بعض تلك المصادر، ميزت بين القول النظري، والرصد الواقعي، مما حذا بها في الشق الأول إلى الاستناد إلى ما جاء من أخبار عن الإعاقة والمعوقين في الكتب المشرقية، التي كان لها قصب السبق في ذلك؛ منها كتاب "المثالب"، الذي شهَّر فيه الهيثم بن عدي (ت.٢٠٧هـ/٨٢٢م) بالمعوقين[4]. أما الجاحظ (ت.٣٥٥هـ/٩٦٥م) فألف كتاب "البرصان والعرجان والعميان

والجولان"، ليعكس من خلاله نظرة العرب إلى ذوي الإعاقة، وتعاملها الإنساني الرفيع معهم، لما يتوفرون عليه من إرادة على التعايش مع إعاقتهم؛ إلى حد أن (جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العرَج ما لا يبلغه عامة الأصحاء، ومع العمى يدركون ما لا يدرك أكثر البُصَراء)(٥). وقد فصل في أنواع الإعاقات والمعوقين، وذكر منها العرجان، والأشل والأقطع: أي المقطوع إحدى اليدين، والأضجم: الذي اعوج أنفه مائلاً إلى أحد جانبي الوجه، والأفقم الذي خرج أسفل لحيه ودخل أعلاه إلى الخلف، وصاحب اللقوة الذي اعوج منه الشدق، والقصير القامة، والأحدب(٦).

كما حظيت الظاهرة باهتمام الباحثين المعاصرين؛ منهم مصطفى بنحمزة في كتابه "حقوق المعوقين في الإسلام"، الذي تناول فيه مظاهر عناية الإسلام بالمعوقين، من خلال استعراضه لبعض الجوانب الفقهية المؤسسة لحقوق المعوقين، وإبراز أنماط التعامل الإيجابي للمجتمعات الإسلامية معهم ومستويات الارتقاء الاجتماعي الذي بلغه بعض المعوقين(٧). وإذا كان من الصعب إصدار أحكام قيمة عن وضعية المعوقين في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، في ظل عدم وجود دراسات وافية في الموضوع، حسب اطلاعنا؛ فإن ذلك لا يمنعنا من تناول الظاهرة وفق مقاربة مفهومية، وربطها بالبعد الحقوقي للمعوقين من خلال كتب الأحكام والفقه، وتعزيزها بما أمكننا الوقوف عليه في غيرها من المتون المصدرية؛ لأن من شأن ذلك أن يسعفنا -قدر الإمكان- في الوقوف على الوضعية الاجتماعية للمعوقين بالعدوتين في المرحلة المذكورة، حتى نتجاوز مقولة "قلة المادة المصدرية" التي طالما تذرعت بها بعض الدراسات، وجعلتها من أسباب عدم اقتحام التاريخ الاجتماعي والثقافي للغرب الإسلامي.

١ـ مفهومُ الإعَاقة الجسدية

اتخذت الإعاقة الجسدية مفهومًا تداخلت فيه عدة أبعاد، منها الطبي والقانوني والاجتماعي، الذي غذاه المخيال الشعبي. فقد ارتبط الصمم، طبيًا، بما يلحق الأذن من حوادث تؤثر على السمع؛ (فإنه يعرض لها إما أن تبطل، وذلك إما لسوء مزاج، وإما لسدة في آلة هذه الحاسة، وهي الأذن. ومن هذه بعينها يعرض لها أن تنقص)(٨). وكذلك العين المقترنة بالبصر؛ فهذه الحاسة (تدخل عليها الآفات أيضا من ثلاثة أوجه: وذلك إما أن لا تبصر أصلا ويسمى ذلك عمى؛ وإما أن تضعف ويسمى ذلك عشا)(٩).

وتندرج الإعاقة ضمن الأمراض المزمنة(١٠)، وما يتبع ذلك من آثار ترتبط بالعقود والالتزامات(١١)، القائمة على الإدراك والتعلم، باعتبارهما دليلا على الصحة العقلية والحسية، مما يمكّن من الإدلاء بالشهادة في المحاكم مثلا: (فأحد الوجوه التي يدرك بها العلم ... العقل مع الحواس الخمس، حاسة السمع، وحاسة البصر، وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس؛ فيدرك بالعقل مع حاسة السمع الكلامُ وجميع الأصوات والمسموعات. ويدرك بالعقل مع حاسة البصر جميعُ الأجسام والأعراض والأشخاص والمبصرات. ويدرك بالعقل مع حاسة الشم جميعُ الروائح المشمومات. ويدرك بالعقل مع حاسة الذوق جميعُ الطعوم المذوقات. ويدرك بالعقل مع حاسة اللمس جميعُ الملموسات على اختلافها في اللين والخشونة وما أشبه ذلك)(١٢).

وعليه؛ فإن الأسرة هي أولى المؤسسات الاجتماعية التي تأثرت بحالة الإعاقة الجسدية بالعدوتين خلال العصر الوسيط، ومن ذلك ما يتعلق بعيوب الزوجين والحضانة؛ إذ لا ترد (المرأة إذا وجدت عمياء، أو عوراء، أو قطعاء، ... أو شلّاء، ... إلا أن يشترط السلامة مما ذكرنا)(١٣). أما الحضانة فتسقط (بأربعة أشياء ... العمى والصمم والقعد، والخرس مثل ذلك)(١٤). والأمر نفسه في العبيد، الذين تندرج إعاقتهم ضمن العيوب التي يرد بها الرقيق، وهي فيما يخص العاهات الجسدية: البتر في الأطراف، والشلل، والعمى، والعور، والصمم، والخرس، والحدب(١٥). ولذلك كان العبد الأعمى يسمى بـ"قائم العينين"؛ وهو (الذي لا يبصر بهما، وهو عيب)(١٦). وقد تعلق العتق، في كثير من الحالات أيضا، بنوع الإعاقة وظروف حدوثها؛ فقد استفتي ابن رشد (ت.٥٢٠هـ/١١٢٦م) في جارية لدى (امرأة، عقدت لها عتقا قبل السبب الذي تكون منه وفاتها بشهر، وشرطت في العقد أنها إن تعوقت أو تخلفت أو أبقت فلا عتق لها، ويبطل ما عقدته من عتقها؛ فثبت تخلفها وتعوقها، وأرادت السيدة بيعها)(١٧).

وقد استوجب ذلك، ضرورة مراعاة خصوصيات المعوقين عند وضع التشريعات والعقود، وهو ما فرض تخصيصهم بما يمكن نعته بـ"عقود المعوقين"، وهي وثائق تنص على طبيعة إعاقاتهم وما يترتب عنها في المعاملات والعلاقات الاجتماعية؛ مثل إدراج العميان ضمن فئات المرضى المنصوص عليهم في وثائق التحبيس(١٨). ونذكر من ذلك ما يهمّ العبد الأصم؛ فمن الحيثيات التي يتضمنه العقد النموذجي الخاص به، أنه (يجوز بيع الأصم الأبكم وشراؤه إذا فهم عنه الشهود فهما يقطعون بمعرفته بذلك بإشارته؛ فإن كان أبكم أصم أعمى لم يجز شيء من عقوده كلها إلا في المعاملات ولا في المناكحات. والأعمى الناطق السميع على ضربين: أعمى منذ ولد؛ فهذا لا تجوز معاملته في البيع والابتياع، بجهله بالبيع، ... وأعمى بعد أن كان بصيرا؛ فيجوز بيعه وابتياعه بالصفة، كبيع الشيء الغائب)(١٩). كما تم التنصيص على قبول شهادة الأخرس باستعمال الإشارة، ومثله في ذلك الأعمى(٢٠).

أما في البيوع؛ فالضرورة توجب أن تتضمن العقود شرط السلامة الجسدية للمتعاقدين تفاديا لأي تدليس؛ كأن يقال مثلا عن المرأة التي تكون طرفًا في العقد: (هي مضجعه الفراش، صحيحة من عقلها وثبات ذهنها)(٢١). والالتزامات الناجمة عن ذلك تتضح من خلال الوقوف على بعض الجوانب المتعلقة بفقه "بيع المريض"؛ إذ إن (مراعاة فعل المريض في ماله يوم البيع لا يوم الحكم؛ فإن كان فيه محاباة، روعي في ذلك ثلث ماله، ثم إن حالت أسواق المبيع بعد ذلك في أيام النظر لم يضر ذلك، وكذلك إن زادته، ولو اختلفت الحال في المحاباة نظر في ذلك إلى الأقل، فجعل الثلث فيه. وإن كان مرضه من الأمراض المزمنة؛ مثل ... الإقعاد، كان فعله في ماله في رأس المال)(٢٢).

ومن ثَمَّ، فإن الإعاقة عمومًا، وفق ذلك المنظور، يقصد بها التفاعل المتبادل بين الحالة الصحية والعوامل الظرفية -الشخصية أو البيئية- المرتبطة بمحيط الشخص. وبناء على ذلك، فإن تحليل تاريخ الإعاقة على أساس النموذج المفهومي، قد يسهم في معرفة الحواجز الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي حالت دون تحقيق المشاركة الاجتماعية لبعض الأشخاص في وضعية إعاقة. كما أن تلك الرؤية تساعد على الإجابة عن عدة تساؤلات إشكالية متعلقة بموضوع تاريخ الإعاقة؛ ومنها طبيعة التمثلات الذهنية، والمواقف الاجتماعية المتعلقة بمفهوم الإعاقة ووضعية المعوق؛ ونوع التدابير المتخذة من قبل المجتمع والدولة للحد مما يكون قد تعرض له المعوقون من تمييز أو سخرية أو تجريح أو غيرها من المعاملات القاسية وغير الإنسانية أو المهينة، أو كل ما من شأنه أن يمس بكرامتهم؛ وما تم القيام به لمحاربة الصور النمطية. وهو ما يحتم ضرورة ربط الإعاقة الجسدية في المغرب والأندلس بالنظام التعليمي، ومدى ولوج المعوقين للخطط الإدارية، والاستفادة من الخدمات الصحية، وما إذا كان هناك تنبه للظاهرة بالعدوتين في الفترة المعنية بالبحث، وغيرها من القضايا والمجالات المتعلقة بـ"سوسيولوجيا الإعاقة" في المرحلة الوسيطية.

٢ـ أنواعُ الإعاقات الجسدية

تنوعت الإعاقات الجسدية، وهمّت كل الفئات الاجتماعية من رجال ونساء وأطفال، وهي إما إعاقات جسدية، أو حسية. فأما الإعاقات البدنية: فنجد مَنْ كان أعرجًا[٢٣]، أو مشلول الرجل[٢٤]، أو مقعدًا[٢٥]، أو أحدبًا[٢٦]، أو مَنْ كان أبيض الأشفار والحاجبين والرأس واللحية[٢٧]، أو مَنْ كان قصير القامة[٢٨]. وأما الإعاقات الحسية: فمنها الحَوَل[٢٩]، والعور[٣٠]، والعمى[٣١]، والبكم والصم، اللذان طالما اقترنا ببعضهما؛ إذ (قلما يوجد أبكم إلا وهو أصم)[٣٢]؛ لذلك تتحدث المصادر عمّن (كان أصم أصلخ)[٣٣]، والتمتمة[٣٤]، واللثغ[٣٥].

٣ـ أسباب الإعاقات الجسدية

وقد اختلفت أسباب الإعاقة باختلاف أنواعها، ويمكن تصنيف تلك الأسباب إلى أسباب خِلقية، وأخرى مكتسبة.

١/٣- الأسباب الخِلقية:

وتمثلها معظم الحالات، التي ولد بها الكثير من المعوقين، بسبب زواج القرابة أحيانا؛ فيحيى بن عبد الرحمن، المعروف بالأبيض (ت.٢٦٣هـ/٨٧٦م)، (كان أبيض الرأس واللحية والحاجبين وأشفار العينين، خِلقة، ولذلك كان يقال له: الأبيض، ... [لأن] أمه كانت أخت أبيه من الرضاعة، فظهرت فيه هذه الآية)[٣٦]، ومنهم مَنْ كان أحدبًا، فجمع بين الإعاقة وسواد البشرة[٣٧]، أو مَنْ (كان قصير القامة جدًا)[٣٨]، أو مَنْ كان ألثغًا[٣٩]، ومنهم من جمع بين إعاقتين؛ إذ كان أحد طلبة الحضر الموحدين (قصير القامة، صغير الهامة، كوسجا أعرج)[٤٠].

٢/٣- الأسباب المكتسبة

وكانت متعددة؛ فهي إما طبيعية، أو مرَضية، أو نتيجة بعض الحوادث؛ لأن (المرض الطارئ ... إنما يكون ... إما من قبل الطبيعة، وإما من قبل الأشياء التي من خارج، ... وقد يكون ذلك من قبل المعالجة الرديئة)[٤١].

فأما **الاعتبارات الطبيعية**، فمنها التقدم في السن، الذي كثيرًا ما سبب العديد من الإعاقات، ومما يمكن ذكره في هذا الصدر ما يرتبط بالشيخوخة والعمى؛ إذ كثيرًا ما تطالعنا كتب التراجم بعبارة (عمي في آخر عمره)[٤٢]؛ فمالك بن علي بن مالك القطني الزاهد القرطبي (ت. ٢٦٨هـ/٨٨١م)، (روى بالأندلس، ... وكان ورعا محتسبا، وكف بصره)[٤٣]. ومحمد بن عبد الملك بن فرج (ت. ٣٣٠هـ/٩٤١م)، (ذهب بصره في آخر عمره)[٤٤]. وحسن بن سلمون، من أهل قرطبة (ت. ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، (كف بصره، فلزم الدعة والانقباض)[٤٥]. أما هاشم بن أحمد بن غانم (ت. ٣٥٩هـ/٩٦٩م)، فـ(كف بصره قبل موته بخمسة أعوام)[٤٦]. ومحمد بن عبد الملك الخولاني النحوي (ت. ٣٦٤هـ/٩٧٤م)، فـ(سمع الناس منه، وكف بصره قبل موته بأعوام)[٤٧]. ويعيش بن سعيد الوراق، المعروف باب الحجام (ت. ٣٦٤هـ/٩٧٤م)، الذي (ذهب بصره بآخره)[٤٨]. ومحمد بن يحيى بن الخزاز (ت. ٣٦٩هـ/٩٧٩م)، الذي (ولي الصلاة بقرطبة، وتصرف في خطة القضاء بمدينة طليطلة ومدينة باجة ودوراتها، وولي أحكام الشرطة، وأقعد في آخر عمره، فلزم داره نحوًا من تسعة أعوام، فسمع الناس أكثر روايته، واختلف إليه للسماع منه قبل موته بعام)[٤٩].

ومحمد بن وازع الضرير (ت. ٣٧٤هـ/٩٨٤م)، الذي (رحل إلى المشرق، ... وانصرف إلى الأندلس، وكف بصره)[٥٠]. وإبراهيم بن عبد الله بن موسى الغافقي، المقرئ، من أهل إشبيلية، وصاحب الصلاة بجامعها، يكنى أبا إسحاق (ت. ٤٢٥هـ/١٠٣٣م)، الذي (توفي ... وهو ابن خمس وسبعين سنة، وكان قد كف بصره)[٥١]. وأحمد بن ثابت بن أبي الجهم الواسطي، منسوب إلى واسط قبرة، سكن قرطبة، يكنى أبا عمر (ت.٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، الذي (أمّ بمسجد بنفسج [بقرطبة] مدة من ستين سنة، وكف بصره)[٥٢]. وأبو عامر سيد بن أبان بن سيد الخولاني، من أهل إشبيلية، (ت. ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، الذي (توفي ... بعد أن كف بصره وهو ابن سبع وثمانين سنة)[٥٣]. وأبو القاسم وليد بن عبد الله بن عباس الأصبحي، المعروف بابن العربي، من أهل قرطبة (ت. ٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، الذي (توفي ... عن سن عالية لتسعين أو قريبا منها، كان قد تعطل قبل وفاته بمدة طويلة، أقعدته عن التصرف وحضور المسجد الجامع)[٥٤]. وأبو الحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي المعروف بالأعلم (ت. ٤٧٦هـ/١٠٨٣م)، الذي (كف بصره في آخر عمره)[٥٥]. وكذلك كان حال أحمد بن عبد السلام بن زياد اللخمي، من أهل ريه (من أهل القرن ٤هـ/١٠م)، الذي (كف بصره في آخر عمره)[٥٦].

وأبي العاص حكم بن إبراهيم المرادي، سرقسطي (من أهل القرن ٤هـ/١٠م)، الذي (عاش إلى أن سن وكف بصره)[٥٧]. وأبي القاسم خلف بن محمد بن صواب اللخمي، من أهل قرطبة (ت. ٥١٠هـ/١١١٦م)، الذي (كف بصره في آخر عمره، وعمّر وأسن)[٥٨]. وإبراهيم بن أحمد البصري (ت.٥١٣هـ/١١١٩م)، الذي (ولي قضاء سبتة، ... ثم استعفي من ذلك، ثم وليها أخرى ... إلى أن استعفي منها بضعفه عنها، ... وحرر آخر عمره، فتعطل إلى مات)[٥٩]. وغالب بن عطية المحاربي (ت. ٥١٨هـ/١١٢٤م)، الذي (كف آخرا بصره)[٦٠]. والقاضي أبي الوليد، يعرف بابن البقوة (ت.٥٣٠هـ/١١٣٥م)، الذي (توفي ... بغرناطة ... عن سن عالية وقد تغير وتعطل)[٦١]. وأحمد بن محمد بن بقي بن مخلد (ت. ٥٣٢هـ/١١٣٧م)، الذي (توفي، ... عن سن عالية وقد أصيب بصره)[٦٢]. وأبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي (ت. ٥٣٨هـ/١١٤٣م) الذي (توفي بقرطبة من زمانة طاولته من ثلاثة أعوام إلى أن قضت عليه)[٦٣].

وأبي الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني، القاضي المقرئ (ت.٥٣٩هـ/١١٤٤م)، الذي (تقلد خطبة إشبيلية نحوا من خمسين سنة، وولي قضاء إشبيلية سنين، ولم يقطع الإقراء والأخذ عنه في تلك المدة، إلى أن صرف فلزم الإقراء والسماع والقيام بالخطبة والصلاة إلى أن أقعده الكبر عن ذلك، ولم يقدر على التصرف ولزم داره، فاستخلف على الصلاة، وأخذ الناس عنه إلى أن أعطله الكبر والخرف)[٦٤]. وأبي الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن خطاب بن خلف بن خطاب المعافري الإشبيلي، (ت. ٦٢٩هـ/١٢٣١م)، الذي كان (فقيها ظاهري المذهب، ... استقضي بإشبيلية وقتا، واستنابه القضاة بها كثيرا في الأحكام، وكف بصره بآخره فلزم داره إلى أن توفي، ... وهو ابن ثمانين سنة)[٦٥]. وأبي عبد الله السائح (من أهل القرن ٨هـ/١٤م)، من أهل سلا، كان (مذهبه السياحة في الفلوات، والتجرد للعبادات إلا أنه في التاريخ بلغ به السن إلى غاية لا يستطيع على المشي والجولة، فاستقر بسلا)[٦٦].

وأما **الدواعي المرضية**، فنذكر منها ما يصيب السمع من ثقل[٦٧]، والعينين من حَوَل[٦٨]، وأوجاع الوركين، الذي أدى إلى إقعاد إحدى النساء بفاس[٦٩]، وشدة البرودة، من أثر الثلج، المفضية إلى قطع الرجلين[٧٠]، وما أحدثه الطواف بالحج لأحد المغاربة بسبب شدة الحر، حتى (صار من المقعدين الزمنى)[٧١]. ولم تكن الأخطاء الطبية لتغيب عن الأسباب المحدثة للإعاقة؛ فعبد الله بن سعيد بن عبد الله الأموي، المعروف بابن الشقاق (ت.٤٢٦هـ/١٠٣٤م)، كان (سبب موته أن عينه رمدت، فأشير عليه بالفصد ففصد، والوقت حمّارة القيظ، فانهدت قوته، وفنيت رطوبته، وتكسع في علته ثلاثا، ثم قضى نحبه)[٧٢]. كما تحدثت كتب النوازل عمن (كدم أصبع رجل فقطعه؛ فاشتد عليه الأمر وانتفخت يده وتساقط لحمها وظهر العظم، ورآه الطبيب فأمر بالقطع؛ فأذن له فقطع يده فمات)[٧٣]. وللحد من مثل هذه الأخطاء، كان لا بد من تقنين الممارسة الطبية في المغرب والأندلس، مما جعل الأطباء والصيادلة يستندون في التنظير، للشؤون الصحية، إلى الاستقراء، لكونه يسعف في إثبات القواعد والمبادئ، وهو ما أدى إلى اعتماد المعرفة الطبية على مقدمات نظرية وكليات منهجية ونتائج تجريبية، مستمدة من علم المنطق، وخاصةً ما تعلق بالمقولات والقياس والبراهين[٧٤]؛ ففي تقديرهم أن (الأَوْلى لمن لم يتدرب في علم المنطق ألا ينظر في الطب الذي يكون عن القياس وعلم الطبائع، ويقتصر على الذي يكون عن التجربة حتى يتدرب في صناعة المنطق، لأن من لم يتدرب على تلك الصناعة كان جديرًا أن يخطئ)[٧٥].

أما على مستوى **الممارسة** فقد استشنع الأطباء الأخطاءَ الطبية وتشددوا في معاتبة مرتكبيها ومتابعتهم تحت طائلة المسؤولية التقصيرية، حتى يتم التصدي لِمَنْ (لم تكن لهم بصارة بصناعة الطب)[٧٦]، ولـ(جهال الأطباء)[٧٧]. منوهين في الوقت ذاته بـ(الطبيب من أهل البصر والعدل)[٧٨]. ما دام أن الطب والصيدلة من الوظائف التي (فيها حياة العالَم)[٧٩]؛ وأن قلة تجربة الطبيب وعدم تبصره (فيه إتلاف المهج، وخطأ الطبيب التراب يستره)[٨٠].

وأما الأسباب المتعلقة ببعض **الحوادث**، فمنها مثلا تعرّض الرأس للضرب؛ فقد ضرب رجل (على رأسه وعلى حقويه؛ فذهب أمّ رأسه، وزال عقله وبصره وسمعه وأسنانه واسترخت أنثياه حتى بلغت ركبتيه)[٨١]. كما قد يؤدي ضرب الأذنين إلى ثِقْل السمع، وهو المسمى بالطرش، وخاصة إذا أفضى ذلك إلى نزيف خارجي، يتعذر معه العلاج[٨٢]. وفيما يشبه ذلك من الحوادث المسببة للإعاقة أن رجلاً (ادعى على جزار أنه اختلف معه على شيء؛ فألقى يده في سكين كان بيد الجزار؛ فاجتذبها الجزار من يده فقطع ثلاثة أصابع من يده)[٨٣]؛ فكان الحكم بأن (يسجن الجزار، لأن هذا يمكن أن يكون من أفعالهم)[٨٤]. وفي حادث مماثل أن عبدًا فقأ عين الشاهد على عتْقه[٨٥]. وبالمثل كان أبو محمد جِلّدَاسَن بن إسحاق الرّكوني (ت. ٥٧٠هـ/١١٧٤م)، (أقطع اليدين من الكفين، وسبب ذلك أنه صعد وهو صغير على شجرة تين، فسقط عنها على كفيه، فانكسرت يداه، فاعتلتا حتى سقطتا)[٨٦]. كما تعرض أحد المغاربة في إحدى عينيه لضربة بسكين عجز الطبيب عن مداواتها[٨٧]. أما غيره؛ فقد (قعد على البحر في ظل قارب لينفذ بعض أشغاله؛ فمال عليه القارب، فشدخه وانكسرت يده، وحمل على أسوأ حال، ... فقاسى مشقة، وتعطلت يده)[٨٨].

وقد تكون الإعاقة بسبب **جرائم اللصوصية**: فإسحاق بن مطهر، من قبائل بني ورياغل شمالي المغرب (من أهل القرن ٧هـ/١٣م)، كان (يعرف في وقته بالأعرج، لأنه خرج عليه اللصوص ليلا في مسجد من بلاد سدراتة حين قراءاته فيها؛ فأصيبت رجله فعرج منها عرجًا شديدًا)[٨٩]. كما أسهمت **المشاركة في الحروب** في إلحاق الإعاقة ببعض الجنود؛ فعلي بن رباح اللخمي المصري، وهو تابعي دخل الأندلس (ت. بعد ١١٤هـ/٧٣٢م)، (كان أعور، ذهبت عينه يوم ذي الصواري في البحر مع عبد الله بن سعد، سنة أربع وثمانين [٨٤هـ/٧٠٣م])[٩٠].

إضافة إلى **طول السهر على ضوء الشمع**، مما أضر بالعينين؛ فأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠١-١٣٠٨م)، ثالث ملوك بني الأحمر بغرناطة، (كان الدهر ضايقه في حصة الصحة، ونغّصه ملاذ الملك بزمانة سَدِكَت بعينيه؛ لمواصلة السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع؛ إذ كانت تتخذ له منه جذوع في أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل، ومضي الهزيع)[٩١]. زيادة على **إجهاد العين بالبكاء**، مما ذهب ببصرها، وهي من الإعاقات التي كانت تصيب المتصوفة على الخصوص؛ فأبو أيوب سليمان بن عبد الغافر الأموي القرشي الزاهد، سكن قرطبة (ت. ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، (بكى من خشية الله حتى كف بصره)[٩٢]. وأبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيب، المعروف بابن الصفر (ت. ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، (كان الدمع قد أثر في عينيه وغيرها لكثرة بكائه)[٩٣]. وأبو الحسن عبد الرحيم بن قاسم بن محمد، من أهل الفرج (ت. ٥٤٣هـ/١١٤٨م)، (كان ديّنا فاضلاً خيّرًا، كثير الصلاة، صاحب ليل وعبادة، كثير البكاء حتى أثر ذلك بعينيه)[٩٤]. وأبو زكرياء يحيى بن صالح المصطاوي (من أهل القرن ٦هـ/١٢م)، وهو من أولياء مراكش، (ما زال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء)[٩٥]. وأبو محمد عبد الله المجاطي (ت. ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، الذي (بكى حتى كف بصره، وضعف نظره أو عدم)[٩٦]. في حين أبقت مملوكة لسيدتها؛ (فبكت عليها حتى عميت ببكائها)[٩٧].

كما كان **الدعاء على النفس** سببًا آخر للإعاقة الجسدية من كثرة الزهد في الدنيا؛ فأبو محمد موسى بن هذيل بن تاجيت البكري، المعروف بابن عبد الصمد، من أهل قرطبة (ت. ٤٦٢هـ/١٠٦٩م) في زمن ملوك الطوائف بالأندلس، (عزم عليه محمد بن جهور أن يوليه القضاء بقرطبة، فقال له: أخِّرني ثمانية أيام حتى أستخير الله، فأخره، فعمي في تلك الأيام، فكانوا يرون أنه دعا بذلك على نفسه)[٩٨]. وأبو داود مزاحم (من أهل القرن ٧هـ/١٣م)، كف بصره (في آخر عمره، ... وكان سببه أنه رأى ماشية له تأكل عيون شجر له، فساءه ذلك، فهلكت الماشية من يومها، وكانت مَعزا، فناله من ذلك تغير، فقال: يا رب إن بصري قد شوش علي، فاكفني شأنه، ... فكف بصره من حينه)[٩٩]. وفي الوقت نفسه كان لدعاء المتصوفة على الغير نصيب في إصابتهم بالإعاقة؛ إذ أصيب أحد الأشخاص بالشلل بفعل دعاء أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ (ت.٤٣٧هـ/١٠٤٥م) عليه[١٠٠]. علاوة على ذلك، فقد أصيب البعض الآخر بإعاقات جسدية، وإن لم تفصح المصادر عن الأسباب الكامنة وراء ذلك؛ إذ تتحدث مثلاً عمّن كان أعور[١٠١]، أو مَنْ (كف بصره في حداثة سنه)[١٠٢].

٤- الإعاقة الجسدية والمجتمع

تتباين المظاهر التي تعكس مكانة المعوقين بالمجتمع؛ منها درجة اندماجهم، ونظرة الآخر إلى المعوق، ونفسية المعوقين أنفسهم. والملاحظ أن الفقه المالكي في المغرب والأندلس ضَمِن للمعوقين حقوقا، وأوكل للقضاة حمايتهم؛ إذ اعتبر ذلك من اختصاصات القاضي، الذي من مهامه (استيفاء الحق لمن طلبه، ... وإلزام الولاية للسفهاء والمجانين، ... ووجوه التسوية في الحكم بين القوي والضعيف، وتوخي العدل بين الشريف والمشروف)[١٠٣]. وهو ما كان ييسر لهذه الفئة الاندماجَ الاجتماعي والثقافي بالعدوتين.

غير أن تدخل القضاة، لم يكن ليسلم من بعض المشاكل؛ فحمق أحد القضاة في تاهرت مثلاً أدى ثمنه أحد المتقاضين؛ إذ (كان فيها قاض من أهلها، وقد أتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنّة؛ فأحضر الفقهاء، فقال: إن هذا الرجل جنى جناية وليس في كتاب الله حكم معروف، فما ترون؟ فقالوا بأجمعهم: الأمر لك، قال: فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات، ثم أفتحه فما خرج من شيء عملت به، قالوا: وفقت؛ ففعل بالمصحف ما ذكره، ثم فتح فخرج قوله تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ [القلم: ١٦]؛ فقطع أنف الرجل وخلى سبيله)[١٠٤]. وبذلك تتبادر إلى الذهن أهمية سلامة الحواس باعتبارها من الشروط اللازم تحققها لتولي المسؤولية في تدبير الخطط الإدارية؛ ومنها صحة السمع والبصر والكلام؛ فهذه (خصال لا يجوز أن يولى القضاء إلا من اجتمعت فيه؛ فإن ولي من لم تجتمع فيه، وجب أن يعزل متى عثر عليه، ويكون ما مضى من أحكامه جائزة)[١٠٥]. كما أنه (لا خلاف بين المسلمين أن من هو في محل الغباوة ... لا ينبغي أن يتقلد شيئا من أمور المسلمين لعدم الخطاب، والوقوف على مراسيم الكتاب)[١٠٦].

أما بعض الخطط الأخرى، فلم تكن تتطلب مثل ذلك التضييق في الشروط، وخاصةً إذا كانت الإعاقة لا تحول دون القيام بها؛ فعلى عكس القاضي، استثُني العمى من إمامة الجمعة[١٠٧]، كما هو حال أبي عبد الله محمد بن علي الأزدي الطليطلي، المعروف بالربوطي (ت.٥٠٣هـ/١١٠٩م)، مثلا؛ فقد (كان شيخًا نبيهًا، راوية، سمع من جماعة من شيوخ طليطلة وغيرهم، ... وكان أعمى، وولي الخطبة، وصلاة الجمعة بفاس، ووليها أيضًا [بسبتة] مدة مديدة إلى أن توفي)[١٠٨]. والأمر ذاته تحقق في الوظائف الأخرى؛ فأبو محمد بن هشام بن الليث اليحصبي، من أهل القيروان، سكن قرطبة (ت. ٣٤٣هـ/٩٥٤م)، (نظر في الأوقاف، ... وكان أعور)[١٠٩]. ومحمد بن أحمد الفارسي، من أهل القيروان، سكن قرطبة (ت. ٣٥٩هـ/٩٦٩م)، (كان خيرا فاضلا، متمسكا بالسنة، شديد الإنكار على أهل البدع، صليبا، وامتحن في ذلك، ... وكان أعور)[١١٠]. وأبو القاسم خلف المقرئ، مولى جعفر الفتى، من ساكني طلبيرة (ت. بعد ٤٠٨هـ/١٠١٧م)، (كان يسكن المسجد، ويقرأ عليه، ويحاول عجن خبزه، وقوته بيده. وكان قصيرًا مفرط القصر، وكان فقيهًا يقظًا)[١١١].

وكانت طبيعة النظام التعليمي في المغرب والأندلس، من الوسائل التي يسرت الولوج الاجتماعي والثقافي لذوي الإعاقات، لكون المدارسة قامت في البداية على السماع، قبل أن تتراجع الرحلة العلمية لحساب التعليم المدرسي[١١٢]. ولذلك فإن التعليم -وفق السماع أو "سند المشيخة"- سهّل انخراط المكفوف في الرواية[١١٣]؛ فمحمد بن وسيم القيسي (ت.٣٥٢هـ/٩٦٣م)، (كان أعمى، سمع بقرطبة، ... وسمع بطليطلة، ... وكان بصيرا بالحديث، حافظا للفقه، ذا حظ من علم

اللغة والنحو والشعر، وكان شاعرا)[١١٤]. وإسماعيل بن سيده، والد أبي الحسن بن سيده، من أهل مرسية (ت. بعد ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، (كان من النحاة، ومن أهل المعرفة والذكاء، كان أعمى)[١١٥]. وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عوف، من أهل قرطبة (ت. ٤٣٤هـ/١٠٤٢م)، (هو من بيت رئاسة وجلالة في الدنيا، ونصر مع السلاطين، كف بصره، فاشتغل بالفقه، ودرس فيه، وكان يقول: ذهب بصري فخير لي، ولو لا ذلك سلكت طريقة أبي وأهلي)[١١٦]. وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، من أهل مرسية (ت. ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، (ذكر الوقشي عن أبي علي الطلمنكي، قال: دخلت مرسية، فتشبث بي أهلها يسمعوا علي غريب المصنف، فقلت لهم: انظروا لي مَنْ يقرأ لكم، وأمسِك أنا كتابي، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأه علي من أوله إلى آخره، فعجبت من حفظه. وكان أعمى بن أعمى. ذكره الحميدي، وقال: إمام في اللغة والعربية حافظا لهما على أنه كان ضريرا، قد جمع في ذلك جموعا)[١١٧]. وأبو سهل بن سليم بن نجدة الفهري المقرئ (ت. بعد ٤٧٥هـ/١٠٨٢م)، (من قلعة رباح، سكن طليطلة، أقرأ الناس القرآن إلى أن توفي. كان فاضلاً نبيلاً ضرير البصر)[١١٨]. وأبو عبد الله محمد بن علي الربوطي (ت.٥٠٣هـ/١١٠٩م)، (كان أعمى، صالحًا، وسمع منه بعض الناس)[١١٩]. وإبراهيم بن محمد الأنصاري، المقرئ، الضرير، يعرف بالمنقوني، سكن قرطبة، وأصله من طليطلة، يكنى أبا إسحاق (ت.٥١٧هـ/١١٢٣م)، كان ضريرًا، ورغم ذلك، (كان يقرئ القرآن بالروايات، ويضبطها ويجودها)[١٢٠]. كما ساعد إحداث المدارس النظامية في المغرب والأندلس خلال العصر المريني والنصري على وجود أساتذة وطلبة قرّاء معوقين[١٢١].

وقد شجعت هذه الظروف البعض من ذوي الإعاقة على التأليف، مثل أبي علي الماجري الكفيف، الذي صنف كتاب "الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ"[١٢٢]. بل إن بعض المعوقين استطاع الوصول إلى السلطة، مستفيدًا من الاضطرابات السياسية؛ فالصراعات بين أعيان مدينة باجة في الأندلس خلال فترة حكم الموحدين، انتهت بتولية (طالب بربري سخيف العقل، اسمه عمر بن سحنون، وكان قصير القامة، صغير الهامة، كوسجا أعرج، لا يفهم ولا يُفهم)[١٢٣]. ولم تمنع الإعاقة البعض الآخر من امتهان بعض النشاطات الاقتصادية؛ إذ كان بعض المكفوفين عمّالاً زراعيين لدى أحد كبار الملاكين؛ وهم (ثلاثة شخوص عور العيون كواسج، وكانوا يعتمرون له ضيعة)[١٢٤].

ومن مظاهر الاندماج الاجتماعي كذلك، أن المعوقين كانوا يلجؤون إلى بعض الوسائل لتفادي العزلة التي قد تفرضها عليهم إعاقتهم؛ فالعميان كانوا يعتمدون على العصي للاهتداء بها في الطريق[١٢٥]؛ والصم كانوا يتواصلون مع غيرهم بالإيماء الشفهي أو الإشارة في الهواء؛ فعبد الرحمن بن محمد بن عثمان الأموي القرطبي (ت.٣٣٥هـ/٩٤٦م)، (كان أصم أصلخ؛ فإذا أحب المرء إخباره كتب له في الهواء، أو رمز له بشفتيه، فيفهم ويكتفي بذلك)[١٢٦]. أما غيره فـ (كان أعرج لا يتصرف إلا بعصاه)[١٢٧]. في حين استعان أحد المقعدين على إعاقته -في الحج- بأن توجه أحد رفقائه إلى (النجّارين، فجعل له عكازين مما يُجعل تحت الإبط ويتوكأ عليهما)[١٢٨]. ومما يسّر هذا الاندماج أيضًا، أن غالبية المعوقين كانوا راضين عن إعاقتهم[١٢٩]؛ مثل أبي الأصبغ عيسى بن محمد بن أحمد بن المهذب بن معاوية اللخمي، من أهل إشبيلية (ت.٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، الذي (كف بصره ... بأعوام، وقد أنشد ... لنفسه هذين البيتين، يذكر فيهما عماه:

إني وإن كنتُ أعمى فالعمى سبب   لجنة الخلد أو جنات فردوس
وقد تيقنتُ أني قاطن بهما   منعما آمنا من عرصة البؤس)[١٣٠].

أما أبو زكرياء يحيى بن صالح المصطاوي (من أهل القرن ٦هـ/١٢م)، وهو من أولياء مراكش؛ فـ(ما زال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء؛ فلما عمي ضاعف عبادته وأوراده شكرًا لله تعالى)[١٣١]. بل إن بعض الشعراء تمنى العمى والصمم من شدة إعجابه بممدوحه[١٣٢]. كما تباينت مواقف المجتمع من المعوقين؛ فهناك المواقف الإيجابية المتمثلة في مراعاة ظروفهم والإحسان إليهم. وفي المقابل لم يسلم المعوقون من التمثلات السلبية لبعض الشرائح الاجتماعية حولهم.

ومما يذكر حول الجانب الأول، أن جماهير بن عبد الرحمن بن جماهر الجحري، من أهل طليطلة، يكنى أبا بكر (ت.٤٦٦هـ/١٠٧٣م)، (كان حافظًا للفقه على مالك، عارفًا بالفتوى، وعقد الشروط وعللها، مشاورًا في الأحكام، عالما بالنوازل والمسائل، سريع الجواب إذا سئل فيهما. وكان حسن الخلق كثير التواضع، وكان قصير القامة جدًا، لما خرج بنعشه ازدحم الناس عليه حتى صار النعش في أكفهم إلى أن وصل إلى قبره مكفنا في حبره)[١٣٣]. بمعنى أن إعاقته لم تسبب له أي أثر نفسي؛ فتعلم وحظي بمكانة اجتماعية بفعل وظيفة الفتوى، التي مكنته من الاندماج الاجتماعي، والتقدير الذي حظي به من قبل المجتمع. زيادة على ما خص به المعوقون من مراكز إيواء، ممولة من مداخيل الأوقاف؛ فقد استفتي ابن رشد الجدّ فيمن (حبَّس على ابنه وعلى عقبه وعقب عقبه؛ فإن انقرضوا رجع الوقف إلى صاحبه أو إلى أقرب الناس إليه إن كان ميتا؛ فإن انقرضوا ولم يكن للمحبس قرابة رجع إلى المرضى المجذومين والعميان بغرناطة سواء بينهم)[١٣٤].

أما الدولة فقد اعتنت بالمعوقين ضمن سياستها الصحية؛ فأقامت المستشفيات، وتكلفت بالإنفاق عليها من بيت المال؛ إذ أحدثت لهم مارستانات خاصةً خارج المدن، كما هو الحال بمراكش المرابطية والموحدية[١٣٥]، وهو ما يفهم أيضًا من نص لابن الخطيب (ت.٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، يتحدث فيه على (ذوي العاهات والزمانات والأمراض المعدية، الذين أمر الشرع باجتنابهم وتسليم الصدقة لهم على قيد الرمح)[١٣٦]. ولذلك أوصى السلطان النصري أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت.٦٣٥هـ/١٢٣٧م) بالصدقة الجارية لـ(ضعفاء أهل الحضرة وزمناهم)[١٣٧]. في حين أقدم يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م)، أحد ملوك بني مرين، عند توليته بفاس، على (صنع المارستان للمرضى والمجانين، وأجرى عليهم النفقات وجميع ما

يحتاجون إليه من الأغذية والأشربة، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية، وأجرى على الكل الإنفاق من بيت المال، وأجرى على الجذمى والعميان والفقراء مالاً معلومًا يأخذونه في كل شهر من جزية اليهود)(١٣٨). ومن جهتهم حرص رموز المجتمعين المغربي والأندلسي على الرفق بهذه الفئة؛ فقد أوصى ابن الخطيب -وهو من خَدَمَة الدولة النصرية والمرينية- أولاده بذلك، مخاطبًا إياهم: (ورقّوا على ذوي الزمانات والعاهات)(١٣٩). أما الأطباء فقد بذلوا جهودا في العلاج، ونشر الوعي الطبي؛ منهم محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت.٧٥٠هـ/١٣٥٠م)، الذي كان يدرس الطب بسبتة، (ويدخل إليه أصحاب العلل والزمنى شيوخًا وكهولا لحضور دولته الطبية)(١٤٠).

وعلى النقيض من ذلك، كانت الإعاقة حاضرة بقوة في الخطاب اليومي؛ سواء في اللغة والأحكام الاجتماعية، أو في الاستلطاف والمداعبات اللفظية المستحبة. فأما القدح والتنابز؛ فيمثله ما كان يلقب به البعض من إعاقة؛ فالأمير محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمهدي بالله، (٣٩٩-٤٠٠هـ/١٠٠٨-١٠٠٩م)، كانت (أمه أم ولد اسمها مزنة، ولقبها كباره، وتعرف بالعرجاء لخلع كان بها)(١٤١). كما كني البعض بإعاقته؛ فهناك من لقِّب بالأعرج(١٤٢)، وأبي العوجاء(١٤٣)، والأحدب(١٤٤)، وابن الأحدب(١٤٥)، والضرير(١٤٦)، والأصم(١٤٧)، والمكفوف أو الكفيف(١٤٨)، والمقعد(١٤٩)، والأنقر، وهو في استعمال الأندلسيين، الأعور(١٥٠). ولذلك كنّت العامة المنصور بن أبي عامر (٣٢٧-٣٩٢هـ/٩٣٨-١٠٠١م) بـ"الأحدب"(١٥١)، واللقب نفسه كني به أحد القساوسة النصارى(١٥٢)، ودعي موسى بن عيسى من صوفية بلاد الريف (من أهل القرن القرن ٧هـ/١٣م) بـ"أطرطور"، نسبة إلى صممه(١٥٣).

وقد كانت أخلاق بعض المعوقين من دواعي المواقف السلبية للمجتمع إزاءهم؛ فأبو عثمان سعيد بن حمدون القيسي، من أهل قرطبة (ت. ٣٧٨هـ/٩٨٨م)، مثلاً، (كان شديد الأذى بلسانه، بذيئًا ثلّابة، يتوقّاه الناس على أعراضهم، وكان أعور)(١٥٤). مثله مثل أبي بكر المخزومي (ت. بعد ٥٤٠هـ/١١٤٥م)، الذي (كان أعمى شديد القحّة والشر، معروفًا بالهجاء، مسلطًا على الأعراض)(١٥٥). ومن المعوقين مَنْ مارس التسول في الطرقات والأسواق، مزعجين بذلك المارة(١٥٦).

أما عن الملاطفات والمزاح باستحضار الإعاقة؛ فقد (حكي عن الزهري خطيب إشبيلية، وكان أعرج، أنه خرج مع ولده إلى وادي إشبيلية، فصادف جماعة في مركب، وكان ذلك بقرب الأضحى؛ فقال بعضهم له: بكم هذا الخروف؟ وأشار إلى ولده، فقال له الزهري: ما هو للبيع، فقال: بكم هذا التيس؟ وأشار إلى الشيخ الزهري، فرفع رجله العرجاء وقال: هو مَعيب لا يُجزئ في الضحية، فضحك كل مَن حضر، وعجبوا من لطف خلقه)(١٥٧). كما يندرج في هذا المظهر أيضا ما كان يثيره السكر من فضول شعري، أدى بالشعراء إلى وصف الغلمان المعوقين الذين يسخَّرون في سقي الندماء(١٥٨).

وتُعَدّ الأمثال الشعبية خير من يكشف عن حضور الإعاقة في الحياة اليومية؛ فقد فاضلت العامة بين بعض الإعاقات؛ فقالت: "أعور أخير من أعمى"(١٥٩)، وسخِرت من الحرس العميان؛ فقالت: "أعمى ويمشي في الحرس"(١٦٠)، وأشارت إلى اعتماد فاقدي البصر على العصي لمعرفة الطريق؛ فقالت: "بحل عصاة أعمى، مرَّ فالخرا، مرَّ فالبول"(١٦١). ويبدو أن بعض المعوقين كانوا لا يعترفون بعاهتهم، لذلك رددت العامة في أمثالها الشعبية: "أعْمى: احتَرق بيتَك، قال: طويل مَن رَّاه"، و"أعمى تر؟ قال: الله يرى"، وهو مثل من قبيل ما يسميه البلاغيون بجواب السائل بغير ما يترقب(١٦٢). ومن أمثال العامة كذلك، قولهم: "كُسَيْرٌ وعُوَيْرٌ والثالث ليسَ فيه خير"؛ وأصل هذا المثل أن امرأة كان لها زوج أعور فمات عنها، فتزوجت من رجل أحدب، وقيل مكسور الساق، فلما دخل عليها وبنى بها، قالت المثل المذكور(١٦٣).

وبذلك أثار العمى والحول والعور اهتمام العامة؛ فكشفت بعضا من أخلاقهم، مثل ما جاء في بعض الأمثال الشعبية "أحْوَل هُو، أتوَل هو"(١٦٤)، و"أنقر هو، أوقر هو"(١٦٥)، و"أعمى هو، أشمى هو"(١٦٦)، و"الأنقر في بلاد العمي يسمى أبو العيون"(١٦٧). أما الأصم، في تقدير العامة، فهو مجبول على البلادة والعدوانية؛ لذلك جاء في الأمثال الشعبية للمرحلة المعنية بالدراسة: "الضراط مع الأصم نزاهة"(١٦٨)، و"القط الأصم، صيح عليه وهو ما ينضم"(١٦٩)، و"الصُّم والاعدا تَمّ"(١٧٠). أما البكم فيقترن بالحكمة، كما يقول المثل الشعبي: "أبكم هو، أحكم هو"(١٧١). والنظرة نفسها تنطبق على الأحدب، والأعرج؛ فمما جاء في هذا الصدد: "أحدب هو، أودب هو"، و"أعرج هو، أفرج هو"(١٧٢).

كما كان المجتمع -وحسب الخطاب الشعبي دائمًا- لا يعبأ بالأعمى والأعرج ولا يأخذ برأيهما: إذ جاء في المثل الشعبي الخاص بهما: "الأعمى والأعرج، ما عليهم حَرَج"(١٧٣)، ورغم ذلك حظي العميان بإعطاء الصدقات؛ إذ تقول العامة: "إن كان هي صدقة، العُمِيَ أوْلى بها"(١٧٤). وعلاوة على ذلك، أرّخ المجتمع للإعاقة، من خلال نسبة بعض الأماكن إلى المعوقين: مثل "فحص أبي العوجاء" بجيان في الأندلس، نسبة إلى جد محمد بن يحيى الرباحي الأزدي (ت.٣٥٨هـ/٩٦٨م)(١٧٥). أما المحستبون، فكونوا صورة نمطية عن المعوقين؛ حيث ارتبط العميان لديهم بالشر وسوء الأخلاق، والتحرش بالنساء والأرامل في المقابر، لذلك أوصوا بأن (لا يجب أن يكون القارئ على الموتى شابا ولا عزباً وإن كان أعمى؛ فالشر كثير)(١٧٦).

٥ـ الإعاقةُ الجسدية بين الطب والتصوف

استفادت الإعاقة الجسدية مما تميز به الطب والصيدلة في المغرب والأندلس من خصائص، كالاعتماد على كليات وقواعد، أبرزها النقد والتجريب(١٧٧). أما حضور الإعاقة في التصوف فترتبط بمؤشرين؛ فأما الأول فيعكس شدة التنافر بين المختصين بالشؤون الصحية والأولياء، حيث تردد كتب المناقب فشل الأطباء والصيادلة في معالجة بعض الإعاقات، مقابل نجاح الصلحاء في ذلك(١٧٨). وأما

الثاني فيُبرز أن المعوقين يندرجون ضمن وظائف "المجال الحيوي" للأولياء، بتداعياته القدسية، اجتماعيًا وروحيًا. لذلك تتماهى الإعاقة في الخطاب الصوفي بـ"المكاشفة"، التي تحقق للولي القدرة على إبراء العاهات[١٧٩].

١/٥- الإعاقة الجسدية والطب:

تتعدد الأمراض التي قد تؤدي إلى الإعاقة، ولذلك لجأ الأطباء إلى التشخيص، ثم تحديد طرق العلاج، حيث برز دور الصيدلة. فبخصوص التشخيص، نذكر أنه قد (يحدث في الأذن ثقل سمع لحجر يصيب الأذن)[١٨٠]. وأن العينين (تحدث فيهما أمراض وآفات كثيرة منها الحول، وذلك حولان؛ حول يكون في العضلة اللحمية الخفية، وذلك يكون فيها لغلط خارج من الطبيعة قد أصابها ويكون عن بخار غليظ قد داخلها)[١٨١]. كما قد تصاب العين أيضا بضعف البصر، وخاصة (فيمن شاخ، وفيمن أكثر من الإلمام بالنساء، أو فيمن نظر إلى عين الشمس وإلى الأنوار الساطعة)[١٨٢]. إضافة إلى "العَشا"؛ (وهو ألا يرى الإنسان شيئا من وقت الغروب)[١٨٣]، والاختلال في البصر[١٨٤].

أما العلاج؛ فثِقل السمع يعالج (بالفصد في القيفال، وتقطير زيت الورد في الأذن فاترا. وأما إن كان ذلك عن ضربة قديمة فدهن السَّوسن ودهن الشبت ودهن الأقحوان ودهن الياسمين ودهن نوى الخوخ أيها اتفق يبرئ من ذلك بإذن الله، ما لم يكن قد خرج من الأذن دم من داخلها؛ فإن كان الدم قد خرج في إثر الضربة فلا تطمع في ارتفاع ثقل السمع، ولو كان المعالج لذلك جالينوس)[١٨٥]. أما مداواة الحول: فالذي (يكون من غلط إن لم يكن متقادمًا جدًا؛ فدهن السوسن ودهن الشبت مع ثلثهما من دهن ورد يرفع ذلك إذا كمِّدَ الموضع به)[١٨٦].

كما حذر الأطباء من بعض الأدوية، لكونها مسببة لبعض الإعاقات؛ داعين إلى احترام القواعد الطبية التجريبية في العلاج؛ (فمدار الأمر في ذلك على التحفظ في الأغذية، وكذلك في سائر الآفات العارضة للبدن. فإذا كان التحفظ واجبًا أن يُلتزم في آفة القدم؛ فالتزامه في آفات العينين أوجب بكثير جدا. وأما كل حريف شأنه أن يملأ الرأس كالثوم والبصل وما شاكلهما فلست أقول إنهما يضران البصر، ولكني أقول إن الثوم والبصل هما العمى بعينه)[١٨٧]. وقد كان الاكتحال من أهم السبل الوقائية والعلاجية من أمراض العيون التي قد تفضي إلى العمى؛ وهو ما يسمى بـ"الشِّيَّاف"، وهو عبارة عن خليط من العقاقير، يقطر بعضها في العين، أو تضمد ببعضها الآخر[١٨٨]، ومنها ما لا يصلح إلا (للمستكملين والكهول والمشايخ)[١٨٩]. ولذلك عمد البعض إلى الاكتحال؛ فعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن القيسي، المعروف بابن الجبار (ت.٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، (كان كثيرًا ما يكتحل بالإثمد، ويجلس للسماع متحببًا، ورما عقد حبوته بطرف ردائه، ... يوالي الاكتحال بالإثمد، ويحض عليه فقل ما يرى إلا محشو العين به. ويقول كثيرًا: لا تمنعوا العين قوتها، فتمنعكم ضوءها)[١٩٠]. وقد سبقت الإشارة إلى جهود الدولة في إقامة المستشفيات لمعالجة بعض الإعاقات، وتمويل ذلك من بيت المال.

٢/٥- الإعاقة الجسدية والتصوف:

لم يسلم الأولياء من الإعاقة؛ فمنهم مَنْ كان أعمى[١٩١]، ومنهم مَنْ (ما زال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء)[١٩٢]، ومنهم مَنْ دعا على نفسه بالعمى[١٩٣]، ومنهم مَنْ كان أعرج[١٩٤]، أو أصم[١٩٥]. أما ثنائية صلة الإعاقة بالكرامة؛ فهي دعاء الولي على الغير بذلك، ومداواة الصوفية لذوي العاهات. فمما يذكر بخصوص الأمر الأول أن أبا محمد مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ، (ت. ٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، (كان ... بقرطبة رجل فيه بعض الحدّة، وكان له على الشيخ أبي محمد مكي المقرئ تسلط، كان يدنو منه إذا خطب فيغمزه، ويحصي عليه سقطاته، وكان الشيخ كثيرًا ما يتلعثم ويتوقف. فجاء ذلك الرجل في بعض الجمع، وجعل يحد النظر إلى الشيخ، ويغمزه؛ فلما خرج ونزل ... في موضعه الذي كان يقرأ فيه، قال: ... أمّنوا على دعائي، ثم رفع يديه، وقال: اللهم اكفينه، اللهم اكفينه، اللهم اكفينه، ... قال: فأقعد الرجل، وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم)[١٩٦].

أما التجاء المعوقين إلى الأولياء، فكان المقصد منه هو الرغبة في أن تعمهم قدسية الكرامات الصوفية وحيويتها، حيث تتكرر الروايات التي ترصد من (يبرئ الأدواء والعاهات)[١٩٧]؛ فببركة دعاء أبي الحسن علي بن حرزهم (ت.٥٥٩هـ/١١٦٣م)، شفي صبي من مكناسة كان أصيب بالبكم لمدة أربعة أعوام[١٩٨]. كما استغل رجل من مدينة فاس نزول الولي نفسه للمبيت عنده؛ فسأله الدعاء بالشفاء لـ(امرأة لها مدة أعوام مريضة، مقعودة من أوجاع بوركيها)[١٩٩]. وقام بالأمر نفسه أبو يعزى يلنور (ت. ٥٧٢هـ/١١٧٦م) عند ما مسح بيديه على أعمى فأبصر[٢٠٠]. أما ابنه أبو علي؛ فـ(جيء له برجل قعد عن الحركة؛ فما زال يتفل عليه حتى قام)[٢٠١]. في حين تدخّل أبو محمد عبد الله بن مُعلّى لمداواة أحد المغاربة، الذي (ضربته سكين في عينه الواحدة، وكان الحكيم ابن عمّار يعالجها، فقال له الحكيم ابن عمار: لا تسرف في علاج عينك؛ فقد فسدت ولا تنتفع بها)[٢٠٢]. أما أبو الحسن الغزيّ (من أهل القرن ٦هـ/١٢م)، أحد أولياء فاس؛ فقد (دعا لامرأة كانت مقعدة فوقفت)[٢٠٣]. وأبو الحجاج يوسف بن المعز الجابري (ت. ٧٧٣هـ/١٣٧١م)، من متصوفة سلا، الذي (حدث أنه ... أعطاه رجال من أهل الغيب شيئًا من الحناء، وقالوا له: ارجع إلى الناس بهذه الحناء، فلا تضعها في ذي عاهة إلا شفاه الله تعالى، قال: وتعلمت بعد ذلك صناعة الجبر؛ فصرت إذا ربطت مكسورًا، أو مكفوفًا أجعل عليه شيئًا من الحناء، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى)[٢٠٤]. أما كرامات أبي العباس بن مرزوق (من أهل القرن ٨هـ/١٤م) فشملت أحد العميان، بعد أن عجز الأطباء عن مداواته؛ إذ يحكي المصاب قائلاً: "عرضت لي العلة التي أعيى الأطباء طبها، وهي ما نزل في عيني، فقدت بسببها بصري، فصرت أستغيث بالشيخ، ﷺ، ووجهت إليه، فقال لي: ستبرأ، إن شاء الله عز وجل، ويعود بصرك أحسن ما كان، وبعث لي بشيء جعلته على بصري إثر القدح، فإني قدحت عني، فشفيت للحين"[٢٠٥].

كان للشرفاء الأمغاريين بركة استفاد منها المرضى عمومًا بمَنْ فيهم المعوقين؛ فمن الفضائل القدسية لعين الفطر، التي ارتبطت بهم أن مَنْ به (علة في جسده إذا اغتسل منها أو شرب؛ فإنه يبرأ)[٢٠٦]. وأن أبا جعفر يعقوب بن أبي عبد الله قال لما حضرته الوفاة قال: (من به علة ولم يجد شفاء لها فتراب قبري شفاء لها)[٢٠٧]. وأن (الموضع الذي يتوضأ منه أبو يعقوب الشريف الأمغاري، ... يقال له ... ساقية العابد؛ من استشفى بالاغتسال منها شفاه الله من مرضه، كائنا من كان، حتى إن المرضى يأتونها من كل موضع)[٢٠٨]. وبرباط شاكر بآسفي عالج أحد الأولياء رجلا به أصابه البكم؛ (فأطلق لسانه فتكلم)[٢٠٩].

وقد حضر ابن قنفذ سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) موسمًا دينيًا أقيم بمناسبة المولد النبوي بدكالة بين آسفي وتيطنفطر، حضرته الطوائف الصوفية السبعة؛ (ووردت عليهم أصحاب العلل المزمنة كالمقعدين وغيرهم، ... يتزاحمون في حلق الذكر، والمريض يتضرع ويرغب في صلاح جسده كأنه يطلب قوته؛ فيقوم من يأخذ بيد المريض ويصرفه وقد رجعت إليه صحته. ومنهم من يضربه بطرف كساء فيقوم كأنه حل من عقال، ثم يختلط الرجل الذي يفعل ذلك بالقوم ولا يعرف شخصه. [وأن] ولدا قرب الحلم سيق إلى حلقة الذكر وفي ركبتيه تنج يابس جدا، رق عظمه منه، ولا يستطيع مد ساقيه معه؛ فقام إليه رجل رقيق أصفر اللون، ... وأتى إلى الصبي، ... ومسح بيده على ركبتيه ومد له ساقيه؛ فامتدا وخفف الله عنه، وفرح الولد وضحك لقوة سروره بصحته، إلا أنه لم يكمل برؤه)[٢١٠]. وإذا كانت المصادر تتحدث أكثر، بخصوص الكرامة والإعاقة، عن الرجل؛ فإن الصلاح لم يعدم المرأة المتصوفة، التي لم تسلم هي الأخرى من العمى؛ إذ تتحدث إحدى الروايات عن (امرأة متعبدة ضريرة).[٢١١]

خاتمة

وهكذا، يتبين مفهوم الإعاقة الجسدية، وأنواعها، وأسبابها، وموقف الدولة والمجتمع منها، وموقعها بين الطب والتصوف في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط. وهي قضايا تمثل أنموذجًا لموضوعات التاريخ الاجتماعي والثقافي للغرب الإسلامي، والتي من شأن تناولها وفق مفهوم جديد للوثيقة والزمن والمجال أن تزاوج بين إعادة بناء الماضي من جهة، والراهنية من جهة ثانية، وهو ما يسعف في تجديد آليات الصنعة لدى المهتم بتاريخ العصر الوسيط، ويعطي للبحث التاريخي معنًا آخر، يولي أهمية للظواهر والوقائع والمؤسسات المجهرية، التي تستفيد مما تقدمه المتون غير المباشرة، بدسامتها المعرفية، والتي من شأنها أن تصالح التاريخ والقارات الإبيستيمولوجية الأخرى. وهو ما حاولنا الاجتهاد لتحقيقه في موضوع الإعاقة الجسدية، حيث زاوجنا بين تجديد الرؤية، وتوسيع القراءة عبر المصادر الدفينة، وتفعيل الآلية المنهجية المتنوعة، من خلال التعريف والتفسير والاستنباط والاستقراء والمقارنة والتحليل والتركيب في محاولة لإثارة الانتباه إلى أهمية البحث في ظاهرة العاهات البدنية في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، لما لها من قيمة معرفية ومنهجية في الوظيفة التأريخية والاجتماعية للمؤرخ، وهو يقتحم قضايا ذات راهنية، مما يعطي للمقاربة التاريخية مكانة بين مختلف المقاربات الكفيلة بتصحيح المفاهيم وإعادة بنائها، لترسيخ الهوية، وتقويم ما اعوجّ في الشخصية الحضارية.

الهَوامشُ:

(١) ابن رشد: **الكليات في الطب**، ط٢، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص: ٢١٩.

(٢) ابن بشكوال: **الصلة**، تحقيق: شريف أبو العلاء العدوي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢، ص: ٢٣٥.

(٣) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، ص: ٣٩٦.

(٤) الجاحظ: **البرصان والعرجان والعميان والحولان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص: ٣١.

(٥) نفسه، ص: ٣٥.

(٦) نفسه، ص: ٣٦، ٣٧.

(٧) مصطفى بنحمزة: **حقوق المعوقين في الإسلام**، ط٢، طوب بريس، الرباط، ٢٠١٠م.

(٨) ابن رشد: **الكليات في الطب**، ص: ٢٧٠. الزهراوي: **التصريف لمَنْ عجز عن التأليف**، مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: ٤٧٢٠، ورقة: ٤١ب.

(٩) ابن رشد: **الكليات في الطب**، ص: ٢٧٠، ص: ٢٧٠.

(١٠) ابن قنفذ: **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، مطبعة أكدال، الرباط، ١٩٦٥م، ص: ٧١.

(١١) ابن مغيث: **المقنع في علم الشروط**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص: ١٠٣، ١٠٤.

(١٢) ابن رشد: **المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات**، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص: ٢٧١، ٢٧٢.

(١٣) ابن عبد الرفيع: **معين الحكام على القضايا والأحكام**، تحقيق: محمد بن قاسم بن عياد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م، ج١، ص: ٢٢٢.

(١٤) الجزيري: **المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود**، جامعة هارفاد، Manuscript, 1704. MS Arab 183، ورقة: ١٥ب.

(١٥) الغرناطي: **الوثائق المختصرة**، أعدها: مصطفى ناجي، ط١، منشورات مركز إحياء التراث المغربي، الرباط، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص: ٤٨. الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق: جماعي تحت إشراف: محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٦، ص: ٤٨. لمزيد من التفاصيل، راجع: عبد الإله بنلمليح: **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، ط١، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص: ٢٩٠- ٢٩٩.

(١٦) ابن رشد: **فتاوى ابن رشد**، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، س٣، ص: ١٣٢٠.

(١٧) نفسه، س١، ص: ٣٥٣. الونشريسي: **المعيار**، ج٩، ص: ٢٠٩.

(١٨) ابن مغيث: **المقنع**، ص: ٢٠٩.

(١٩) الجزيري: **المقصد المحمود**، ورقة: ٣١أ، ٣١ب.

(٢٠) ابن فرحون: **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تحقيق: جمال مرعشلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج١، ص: ٨١، ٨٢.

(٢١) ابن الحاج: **فتاوى ابن الحاج**، مخطوط خاص، ص: ١١٢.

(٢٢) ابن مغيث: **المقنع**، ص: ١٠٣، ١٠٤.

(٢٣) ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٨٣م، ج٣، ص: ٥٠. نفسه: **البيان المغرب** (ق.موح)، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ص: ١٢٨. البادسي: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق: سعيد أعراب، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص: ١١٠. المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٦٨م، م٣، ص: ٣٨٤.

(٢٤) الحضرمي: **السلسل العذب والمنهل الأحلى**، تحقيق: محمد الفاسي، مجلة المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد ١٠، ج١، ١٩٦٤م، ص: ٧٣.

(٢٥) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ١٠٧. ابن مغيث: المقنع، ص: ١٠٣، ١٠٤. القاضي عياض: **الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)**، تحقيق: ماهر زهير جرار، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص: ١٢٣، ١٢٤، ٢١٣. ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص: ٢٨٠. الزيات: **التشوف إلى رجال التشوف**، تحقيق: أحمد التوفيق، ط٢، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص: ٢٩٥. التميمي: **المستفاد في مناقب العبَّاد**، بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، مطبعة طوب بريس، الرباط، ٢٠٠٢م، ق٢، ص: ٩٢. ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: ٢٩. ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهري، ط١، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص: ٢٢٦.

(٢٦) ابن عذاري: **البيان المغرب**، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص: ٢٨١. نفسه: البيان المغرب (ق.موح)، ص: ١٢٥. ابن خفاجة: **ديوان ابن خفاجة**، مطبعة جمعية المعارف، مصر، ١٢٨٦هـ، ص: ٥٨، ٧٥. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، طبعة حجرية، فاس، مثل رقم: ٥٢.

(٢٧) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ٢٢٧. الخشني: **أخبار الفقهاء والمحدثين**، تحقيق: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩١م، ص: ٣٧٦.

(٢٨) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ١٥٨، ١٦٦، ١٩١. ابن عذاري: **البيان المغرب** (ق.موح)، ص: ١٢٨.

(٢٩) ابن زهر: **التيسير في المداواة والتدبير**، تحقيق: ميشيل الخوري، ط١، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، ج١، ص: ٤٧.

(٣٠) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ١٠٩، ٢٤٤، ٤٠٥، ج٢، ص: ١٤٥.

(٣١) نفسه، ج١، ص: ٩٩، ج٢، ص: ٧٠، ٩٠، ١١٦، ٢٠١، ٢١٤، ٢٤٧. الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م، ص: ٣٠٣. القاضي عياض: **الغنية**، ص: ٩٧، ١٩٠. ابن عطية: **فهرس ابن عطية**، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ص: ٧٤. ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ٧٤، ٧٦، ١١٣، ٢٥٥. ابن الزيات: **التشوف**، ص: ١٠٥، ٣٨٧. التميمي: **المستفاد**، ق٢، ص: ٨١، ٢١١. ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**: تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، س٥، ق١، ص: ٢٠٢، ٢٠٧. ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص: ١٧٠. ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: ١٥. المقري: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٧٨م، ج٣، ص: ١٥٧.

(٣٢) ابن فرحون: **تبصرة الحكام**، ج١، ص: ٢٣.

(٣٣) الزبيدي: **طبقات النحويين**، ص: ٣٠٦. ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ٣٥٠. والأصم الأصلخ، هو الأصم الذي ذهب سمعه بالكلية: قيل (صَلِخَ سمعه؛ ... ذهب فلا يسمع شيئا البتة). ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، (مادة صلخ)، م٣، ص: ٣٤.

(٣٤) القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص: ١٧٨، ١٧٩، ١٨١.

(٣٥) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ٢١٥.

(٣٦) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ٢٢٧. الخشني: **أخبار الفقهاء والمحدثين**، ص: ٣٧٦.

(٣٧) ابن خفاجة، **ديوان ابن خفاجة**، ص: ٥٨، ٧٥.

(٣٨) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ١٦٦.

(٣٩) نفسه، ج١، ص: ٢١٥.

(٤٠) ابن عذاري: **البيان المغرب** (ق. موح)، ص: ١٢٨.

(٤١) ابن رشد: **الكليات في الطب**، ص: ٢٣٧، ٢٣٨.

(٤٢) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ١٣١.

(٤٣) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ٦. الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص: ٣١٤. الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص: ٤٠٥.

(٤٤) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ٧٠.

(٤٥) الخشني: **أخبار الفقهاء والمحدثين**، ص: ٧٣.

(٤٦) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ٢١٤.

(٤٧) نفسه، ص: ١٠١.

(٤٨) نفسه، ص: ٢٤٧.

(٤٩) نفسه، ص: ١٠٧.

(٥٠) نفسه، ص: ١١٦.

(٥١) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ١١٣.

(٥٢) نفسه، ص: ٧٤.

(٥٣) نفسه، ص: ٢٥٥.

(٥٤) نفسه، ج٢، ص: ٢٨٠.

(٥٥) نفسه، ص: ٣١٣.

(٥٦) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ٩٩.

(٥٧) نفسه، ص: ١٧٧.

(٥٨) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ٢٠٠.

(٥٩) القاضي عياض: **الغنية**، ص: ١٢٣، ١٢٤.

(٦٠) نفسه، ص: ١٩٠.

(٦١) نفسه، ص: ٢٢٠.

(٦٢) نفسه، ص: ٩٧. المقري: **أزهار الرياض**، ج٣، ص: ١٥٧.

(٦٣) ابن الأبار: **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة/دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص: ١٤٩.

(٦٤) القاضي عياض: **الغنية**، ص: ٢١٣.

(٦٥) ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة**، س٥، ق١، ص: ٢٣٨، ٢٣٩.

(٦٦) الحضرمي: **السلسل العذب**، ص: ٨٧، ٨٨.

(٦٧) ابن زهر: **التيسير في المداواة**، ج١، ص: ٣٩.

(٦٨) نفسه، ص: ٤٧.

(٦٩) التميمي: **المستفاد**، ق٢، ص: ٢٢. ابن عيشون: **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم ٣٥، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص: ٦٣.

(٧٠) التميمي: **المستفاد**، ق٢، ص: ٣٧.

(٧١) ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص: ٢٢٦.

(٧٢) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ٢٩٠.

(٧٣) الشعبي: **أحكام الشعبي**، تحقيق: الصادق الحلوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ص: ٣٤٥، ٣٤٦. ابن بشتغير: **نوازل ابن بشتغير**، تحقيق: قطب الريسوني، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص: ٣٠٥. الونشريسي: **المعيار**، ج٢، ص: ٢٩٥.

(٧٤) ابن الخطيب: **عمل مَنْ طب لَمَنْ حب**، مخطوط بخزانة القروين، فاس، رقم: ٦٠٧، ص:١. مؤلف مجهول: **شرح قصيدة ابن سينا في الطب**، مخطوط بخزانة الجامع الكبير، مكناس، رقم: ٥٢٢، ص: ٤، ٦، ٢١.

(٧٥) ابن رشد: **رسائل ابن رشد الطبية**، تحقيق: جورج شحاتة قنواتي وسعيد زايد، تقديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص: ٨٧، ٨٨.

(٧٦) ابن جلجل: **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص: ٩٢، ١٠١.

(٧٧) ابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص: ٣٢٧.

(٧٨) ابن بشتغير: **نوازل ابن بشتغير**، ص: ٣٠٥. الونشريسي: المعيار، ج٢، ص: ٢٩٥.

(٧٩) ابن البيطار: **الجامع**، ج٢، ص: ٣٢٧.

(٨٠) ابن عبدون: **رسالة في القضاء والحسبة**، تحقيق: إ.ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص: ٤٦.

(٨١) القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج١، ص: ١٩٥.

(٨٢) الزهراوي: **التصريف**، ورقة: ٤١ب. ابن زهر: التيسير في المداواة، ج١، ص: ٤٠.

(٨٣) الشعبي: **أحكام الشعبي**، ص: ٢٤٧. ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، ص: ٣٠٦، ٣٠٧.

(٨٤) الشعبي: **أحكام الشعبي**، ص: ٤٠٨، ٤٠٩. ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، ص: ٣٠٧.

(٨٥) الشعبي: **أحكام الشعبي**، ص: ٣٤٨. ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، ص: ٣٠٩.

(٨٦) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٢٢٧.

(٨٧) التميمي: **المستفاد**، ق٢، ص: ٧٤.

(٨٨) البادسي: **المقصد الشريف**، ص: ١٣٢.

(٨٩) نفسه، ص: ١١٠.

(٩٠) ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ٤٠٥.

(٩١) ابن الخطيب: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩م، ص: ٨٦.

(٩٢) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ٢٢٣.

(٩٣) نفسه، ج٢، ص: ٣١٦.

(٩٤) نفسه، ص: ٣٣.

(٩٥) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٣٦٢.

(٩٦) ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص: ٢٠٢.

(٩٧) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٣٩٦. ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: ٣٣.

(٩٨) ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص: ٢٤١.

(٩٩) البادسي: **المقصد الشريف**، ص: ٥٢، ٥٣.

(١٠٠) ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص ٢٦٦.

(١٠١) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ١٠٩، ج٢، ص: ١٤٥، ١٧٧.

(١٠٢) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ٧٦، ٣١٦، ج٢، ص: ١٤٢، ٢٢٥.

(١٠٣) النباهي: **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس)**، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص: ٥، ٦.

(١٠٤) ابن الجوزي: **أخبار الحمقى والمغفلين**، شرح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص: ١١١.

(١٠٥) ابن رشد: **المقدمات الممهدات**، ج٢، ص: ٢٥٩. الرجراجي: **مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، ط١، مركز التراث الثقافي المغربي/الدار البيضاء، دار ابن حزم/بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٧م، ج٨، ص: ٦٠-٦٣. ابن فرحون: **تبصرة**

الحكام، ج١، صص: ٢١- ٢٣. الحطاب: **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٨، ص: ٨١، ٨٢. الونشريسي: **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، منشورات لافوميك، الجزائر، ١٩٨٥م، ص: ٤٢.

(١٠٦) الرجراجي: **مناهج التحصيل**، ج٨، ص: ٦٠. وهو ما يفهم من نظم ابن عاصم: وَأَنْ يَكُونَ ذَكَراً حُرّاً سَلِمْ مِنْ فَقْدِ رُؤْيَةٍ وَسَمْعٍ وَكَلِمْ _ ابن عاصم: **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام**، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص: ١٨. ابن عاصم: **شرح تحفة ابن عاصم**، مخطوط بخزانة الجامع الكبير، مكناس، رقم: ٢٧٨، ص: ١٦.

(١٠٧) لذلك يقول ابن عاشر في شروط الإمام:

شَرْطُ الإِمَامِ ذَكَرٌ مُكَلَّفٌ آتٍ بِالأَرْكَانِ وَحُكْماً يَعْرِفُ [...]

وَكَالأَشَلِّ وَإِمَامَةٌ بِلَا رِداً بِمَسْجِد صَلَاةٌ تُجْتَلَى [...]

وَجَازَ عِنِّينُ وَأَعْمَى أَلْكَنُ مُجَذَّمٌ خَفَّ وَهَذَا المُمْكِنُ

ابن عاشر: **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، مكتبة القاهرة، د.ت، ص: ١٤، ١٥.

(١٠٨) القاضي عياض: **الغنية**، ص: ٧٦.

(١٠٩) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ١٤٥.

(١١٠) نفسه، ص: ١٤٧.

(١١١) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ١٩١.

(١١٢) عن أهمية هذه الطرق التعليمية وشروطها، يراجع: ابن خير: **فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**، تحقيق، فرنسشكه قداره زيدين وخليان ربارة طرغوه، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص: ١٢- ٢٢. سعيد بنحمادة: **النظام التعليمي في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، منشورات الزمن، سلسلة قضايا تاريخية ١٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠١١م، ص: ٢٧- ٥٦.

(١١٣) ابن عطية، **فهرس ابن عطية**، ص: ٧٤.

(١١٤) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ٩٠.

(١١٥) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ١٢٧.

(١١٦) نفسه، ج٢، ص: ١٦٦.

(١١٧) نفسه، ص: ٥٩.

(١١٨) نفسه، ج١، ص: ٢٥٩.

(١١٩) ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص: ٢٠٦.

(١٢٠) نفسه، ج١، ص: ١١٩.

(١٢١) ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: ٧٨.

(١٢٢) مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠٠٥م، ص: ١٦٤.

(١٢٣) ابن عذاري: **البيان المغرب** (ق. موح)، ص: ١٢٨.

(١٢٤) الزبيدي: **طبقات النحويين**، ص: ٣٠٣.

(١٢٥) تقول العامة: "بحل عصاة أعمى، مرَّ فالخرا، مرَّ فالبول". الزجالي: **ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام (أمثال العوام في الأندلس)**، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، فاس، ١٩٧١م، مثل رقم: ٦٠٨، ق٢، ص: ١٣٧.

(١٢٦) الزبيدي: **طبقات النحويين**، ص: ٣٠٦. ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ٣٥٠.

(١٢٧) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٢٧١.

(١٢٨) ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص: ٢٢٧.

(١٢٩) عن بعض مواقف العميان من إعاقتهم، يراجع: محمد حقي: **الموقف من المرض والموت في المغرب والأندلس**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ٢٠٠١م، (مرقونة)، ص: ٤٣، ٦٠، ٦١، ٦٢.

(١٣٠) ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص: ٧٣.

(١٣١) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٣٦٢. ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: ٣٣.

(١٣٢) يقول: بدا وجهه فاشتهيتُ العمى وكلّمني فاسترزتُ الصمم

ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ق٤، م١، ص: ١١٨.

(١٣٣) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ١٥٨.

(١٣٤) ابن رشد: **فتاوى ابن رشد**، س١، ص: ٦٢٤.

(١٣٥) كانت "حارة الجذماء" من جملة ما أقيم جنوبي مدينة مراكش خارج باب أغمات. ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٣١٢، ٣٤٨.

(١٣٦) ابن الخطيب: **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ط٢، مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للثقافة والفنون والعلوم، م١٢، ج٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص: ١٢٠.

(١٣٧) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص: ٦٨.

(١٣٨) ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص: ٢٩٨. الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٣، ص: ٦٥.

(١٣٩) ابن الخطيب: **وصية ابن الخطيب إلى أولاده**، مخطوط بخزانة القرويين، فاس، رقم: ٦٢٧/٤٠، ص: ١٥١. المقري: نفح الطيب، م٧، ص: ٤٠٣.

(١٤٠) مؤلف مجهول: **بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٤م، ص: ٢٥.

(١٤١) ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج٣، ص: ٥٠.

(١٤٢) الزبيدي: **طبقات النحويين**، ص: ٢٩٩. ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ٨٧، ٨٨.

(١٤٣) الزبيدي: **طبقات النحويين**، ص: ٣١٠.

(١٤٤) نفسه، ص: ٢٥٧. ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ٣٠٩. ابن عذاري: **البيان المغرب** (ق.موح)، ص: ١٢٥.

(١٤٥) ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص: ١٦٩.

(١٤٦) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص: ١١٦. القاضي عياض: **الغنية**، ص: ١٧٠، ٢٢٦. ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص: ٣١٤. ابن الزيات: **التشوف**، ص: ١٠٥. المقري، **أزهار الرياض**، ج٣، ص: ١٦١.

(١٤٧) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ١٥٥.

(١٤٨) الزبيدي: **طبقات النحويين**، ص: ٣٠٣. ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ٩٥، ١٠٧، ١٤٨، ٢٠٧، ج٢، ص: ٦٢. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص: ٨٣. مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، ص: ١٦٤. ابن عطية: **فهرس ابن عطية**، ص: ٧٤.

(١٤٩) القاضي عياض: **الغنية**، ص: ١٥٧.

(١٥٠) ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج٢، ص: ٩٧، ١٢٢.

R. Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Librairie du Liban, Beyrouth, t2, p: 711.

ولذلك جاء في أمثال العوام: "الانْقَر في بلاد العُمِي يسمَّى أبو العيون". الزجالي: ري الأوام، مثل رقم: ١٤٧، ق٢، ص: ٣٩.

(١٥١) وفي ذلك يقول أحد الشعراء: أيكون حيّا من أمية واحد ويسوس ضخمَ المُلك هذا الأحدب _ ابن عذاري: **المغرب**، ج٢، ص: ٢٨١.

(١٥٢) نفسه (ق. موح)، ص: ١٢٥.

(١٥٣) البادسي: **المقصد الشريف**، ص: ١١٣.

(١٥٤) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص: ٢٤٤.

(١٥٥) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، م١، ص: ٤٢٤. المقري: **نفح الطيب**، م١، ص: ١٩٠.

(١٥٦) ابن عبد الرؤوف:. **رسالة في آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل في الحسبة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص: ١١٣.

(١٥٧) المقري: **نفح الطيب**، م٣، ص: ٣٨٤.

(١٥٨) يقول ابن خفاجة في وصف أحدب أسود يسقي:

رب ابن ليل سقانا   والشمس تطلع غره
فظل يسوّد لونا   والكأس تسطع حمره
كأنه كيس فحم   قد أوقدت فيه جمره
وللمدام مدير   يشب جمرة خمره
تضاحكت عن حباب   بقبل الماء ثغره
فظلت آخذ ياقو   ته وأصرف دره
حتى تثنيت غصنا   واصفرت الشمس نقره
وارتد للشمس طرف   به من السقم فتره
يجول للغيم كحل   فيه وللقطر عبر

ويقول في مقطوعة مماثلة:

وكأس أنس قد جلتها المنى   فباتت النفس بها معرسه
طاف بها أسود محدودب   يطرب من يلهو به مجلسه _ نفسه، ص: ٥٨، ٧٥.

(١٥٩) الزجالي: **ري الأوام**، مثل رقم: ٣٨٣، ق٢، ص: ٨٧. لذلك جاء في بعض الأشعار:

والأعور المقوت في قبحه   خير من الأعمى على كل حال
وربما ابتهج الأعمى بحالته   لأنه قد نجا من طيرة العور _ نفسه، ص: ٨٧.

(١٦٠) نفسه، مثل رقم: ٣٠٥، ص: ٧٢.

(١٦١) نفسه، مثل رقم: ٦٠٨، ص: ١٣٧.

(١٦٢) نفسه، مثلان رقم: ٧٠، ٩٠، ص: ٢٠، ٢٦.

(١٦٣) ابن هشام: **المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان**، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنّان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص: ٢٣٦.

(١٦٤) الزجالي: **ري الأوام**، مثل رقم: ٥٣٦، ق٢، ص: ١٢٠. وأتول معناها أحذق.

(١٦٥) نفسه، مثل رقم: ٥٣٩، ص: ١٢١. والأنقر الأعور.

(١٦٦) نفسه، مثل رقم: ٥٤٣، ص: ١٢١.

(١٦٧) نفسه، مثل رقم: ١٤٧، ص: ٣٩.

(١٦٨) نفسه، مثل رقم: ٢٤٣، ص: ٦١. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثل رقم: ١٧٩.

(١٦٩) الزجالي: **ري الأوام**، مثل رقم: ٣٧٦، ق٢، ص: ٨٦.

(١٧٠) نفسه، مثل رقم: ٤٣٨، ص: ٩٨.

(١٧١) نفسه، مثل رقم: ٥٣٧، ص: ١٢١.

(١٧٢) نفسه، مثلان رقم: ٥٤٠، ٥٤٢، ص: ١٢١.

(١٧٣) نفسه، مثل رقم: ١٥٣، ص: ٤٠. والمثل مقتبس من قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾. [النور: ٦١].

(١٧٤) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ١٥٦، ص: ٤١. وقد رجح حقق الكتاب أنه من أمثال مراكش التي عاش فيها الزجالي زمنا، ولم يستبعد لذلك أن تكون له صلة بحركة الولي أبي العباس السبتي في الدعوة إلى الجود وحماية الفقراء عامة والعميان خاصة، ما يزال مثواه مأوى للعميان من كل الجهات، حيث لهم صندوق يوزع بنظام عليهم.

(١٧٥) الزبيدي: **طبقات النحويين**، ص: ٣١٠.

(١٧٦) ابن عبدون: **رسالة في القضاء والحسبة**، ص: ٢٧.

(١٧٧) ابن زهر: **التيسير في المداواة**، ج١، ص: ٤٠.

(١٧٨) التميمي: **المستفاد**، ق٢، ص: ٧٤. ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: ٣١، ٨٨.

(١٧٩) ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: ١٠. كما أن الحضور القوي لإعاقة العمى في الخطاب الصوفي، حيث تقترن بالابتلاء في المعراج الصوفي، وهو ما نؤكد معه أن الكرامة الصوفية هي تجديد للقدسي؛ والولاية هي إعادة إنتاج للنبوة؛ فالكرامة (إن وقعت لولي فهي دالة على صدق عبادته وعلو مكانته، بشرط اتباعه لحقيقة ما أمر به النبي عليه السلام). الماجري: **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، ط١، المطبعة المصرية، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، ص: ٨٠، ٨١. لأن (العارف أنموذج مختصر من النبي). ابن الخطيب: **روضة التعريف بالحب الشريف**، تحقيق: محمد الكتاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م، ج٢، ص: ٤١٤. بدليل ابتلاء النبي يعقوب، عليه السلام، بالعمى بسبب ما حصل لابنه النبي يوسف، عليه السلام، وأخيه؛ إذ يقول تعالى: ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾. [يوسف: ٨٤].

(١٨٠) ابن زهر: **التيسير في المداواة**، ج١، ص: ٣٩.

(١٨١) نفسه، ص: ٤٧.

(١٨٢) نفسه، ص: ٦٧.

(١٨٣) نفسه، ص: ٦٧.

(١٨٤) نفسه، ص: ٦٩.

(١٨٥) نفسه، ص: ٤٠.

(١٨٦) نفسه، ص: ٤٧.

(١٨٧) نفسه، ص: ٦٩.

(١٨٨) نفسه، ص: ٦٠، ٦١، ٦٢.

(١٨٩) نفسه، ص: ٦٢.

(١٩٠) ابن بشكوال: **الصلة**، ج١، ص: ٢٩٥.

(١٩١) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٣٥٧، ٤٤٠. التميمي: **المستفاد**، ق٢، ص: ٨١. البادسي: **المقصد الشريف**، ص: ١٤٧. طاهر الصدفي: **السر المصون في ما أكرم به المخلصون**، تحقيق: حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٧٥.

(١٩٢) ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٣٦٢.

(١٩٣) البادسي: **المقصد الشريف**، ص: ٥٢، ٥٣.

(١٩٤) نفسه، ص: ١١٠.

(١٩٥) نفسه، ص: ١١٣.

(١٩٦) ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص: ٢٦٦.

(١٩٧) البادسي: **المقصد الشريف**، ص: ٥٩.

(١٩٨) التميمي: **المستفاد**، ق٢، ص: ٢٠.

(١٩٩) نفسه، ص: ٢٢. ابن عيشون: **الروض العطر**، ص: ٦٣.

(٢٠٠) ٢٠٠- ابن الزيات: **التشوف**، ص: ٣٢١. ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: ١٥.

(٢٠١) ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: ٢٩.

(٢٠٢) التميمي: **المستفاد**، ق٢، ص: ٧٤، ٧٥.

(٢٠٣) نفسه، ص: ٩٢.

(٢٠٤) الحضرمي: **السلسل العذب**، ص: ٩٥.

(٢٠٥) ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص: ٢٦٣.

(٢٠٦) الزموري: **بهجة الناظرين وأنس الحاضرين**، تحقيق: علي الجاوي، رسالة لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٨٥/١٩٨٦م، (مرقونة)، ص: ٥٥.

(٢٠٧) نفسه، ص: ١١٦.

(٢٠٨) نفسه، ص: ١٤١، ١٤٢.

(٢٠٩) نفسه، ص: ١٧٥.

(٢١٠) ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: ٧١، ٧٢.

(٢١١) نفسه، ص: ٧٣.